أصول التفسير عند العلامة الفراهي

(عرض ونقد)

د.محمد إقبال أحمد فرحات
أستاذ مساعد بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا
عجمان، الإمارات العربية المتحدة

الخلاصة

جاء هذا البحث لبيان الآراء الجديدة التي أتي بها الفراهي في موقفه من السنة النبوية وتفسير القرآن بالحديث، ويرى الفراهي أن الأصول الخبرية للتفسير نوعان:

الأول: ما هو أصل وإمام وهو القرآن: ويندرج تحت هذا الفرع ثلاثة أصول للتأويل:

١. أصول أولية: وهو ما يتمسك به حيث لا احتمال لمعان شتى.

٢. أصول مرجحة: وهي احتمال الكلام معاني مختلفة؛ فإذا أعملنا الأصول المرجحة أخذنا ما هو الراجح وتركنا المرجوح.

٣. وأصول كاذبة: اعتمدوا عليها وليست بشيء، وإنما تذكر ليتم اجتنابها.

الثاني: ما هو كالتبع والفرع وهو الحديث: ثم رأيه بأن السنة هي ما فهمه الرسول صلى الله عليه وسلم من القرآن، ثم موقفه من الإسرائيليات، ثم تقديمه الرأي على التفسير بالحديث الضعيف، ثم رأيه في قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [الحجر: ٩]، ورأيه في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم: ٣، ٤]، ثم معنى الحكمة في قوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣] .

ABSTRACT

This research discusses the recent opinion of Al-Farahi in using the Hadith (sayings of the Prophet Muhammad – PBUH) and Sunna (sayings, acts and deeds of the Prophet – PBUH) in interpreting the Holy Qur'an. Al-Farahi views informative sources of explanation as two, the first of which is the Holy Qur'an, which includes three types of sources for explanation: 1) basic sources – considered the main sources for which no other meaning exists; 2) probable sources – regarded as speech that may have more than one meaning, in which case the most probable is considered the most reliable and hence other sources are discounted and; 3) false sources – to be considered baseless and thus avoided. The second source which Al Fahahi identifies as informative, but as a branch or subsidiary of the Qur'an, is the Hadith. Al Farahi

includes in this source narratives conveyed by the Israelites and makes clear his preference for certain hadith over weak hadith, while relaying his viewpoint with regard to specific verses in the Holy Qur'an.

المقدمة

إن الحمد ؛ نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ با من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده ا ، فلا مضل له، ومن يضلل؛ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنُوا اتقُوا الله حق تُقَاته ولا تموتُن إلا وأَنْتُم مسلمون﴾

﴿يا أيها الناس اتقُوا ربكُم الذي خَلَقَكُم من نَفْسٍ واحدة وخَلَقَ منْها زوجها وبث منْهما رِجالًا كثيرا ونساء واتقُوا الله الذي تَساءلُون به والْأَرحام إن الله كان علَيكُم رقيبا﴾.

﴿يا أيها الذين آمنُوا اتقُوا الله وقُولُوا قَولًا سديدا. يصلح لَكُم أَعمالَكُم ويغْفر لَكُم ذُنُوبكُم ومن يطع الله ورسولَه فَقَد فَاز فَوزا عظيما﴾.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب ا ، وخير الهدي هدي محمد صلى ا عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد فإن موضوع موقف العلامة " الفراهي " من تفسير القرآن بالسنة النبوية (1) يستحق أن يفرد ببحث مستقل؛ نظراً لما يتمتع به الفراهي من مكانة علمية مرموقة في التفسير وعلوم القرآن، شهد له بها القريب والبعيد. وأيضاً للجرأة العلمية التي تمتع بها الفراهي في هذا الموضوع، يقول الفراهي في مقدمة فاتحة تفسير نظام القرآن (2): وكنت أفرق عن طعن بعض إخواننا، ولكن (3) ذهب بهم الشغف بالحديث إلى أن قالوا: إن الحديث داخل تحت آية: ﴿إِنا نَحن نَزلْنَا الذكْر وإِنا لَه لَحافظُون﴾ [الحجر: ٩]، ولم يتفكروا نتائج هذا القول، فحان لي أن أرفع راية الصدق ولا أبالي، ولو قطعوا رأسي لديه وأوصالي..

وينبغي أن لا يفهم من هذا التقديم أن الفراهي يقف موقف المغرضين من المستشرقين أو من يسمون بالقرآنيين [4] من السنة النبوية المطهرة، وسوف نقدم في هذا البحث موقفه ونبين من خلاله نظرته إلى تفسير القرآن بالسنة النبوية المطهرة. وجاءت خطة البحث على النحو التالي:

(١) تعريف مختصر بالإمام الفراهي.

(٢) من آثاره المطبوعة.

(٣) الأصول الخبرية للتفسير عند الفراهي.

(٤) السنة هي ما فهمه الرسول صلى ا عليه وسلم من القرآن.

(٥) موقف الفراهي من الإسرائيليات.

(٦) التفسير بالحديث الضعيف ليس أحق بالاتباع من الرأي.

(٧) رأي الفراهي في قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر: ٩] .

(٨) رأي الفراهي في قوله تعالى: ﴿وما ينْطقُ عنِ الْهوى. إِن هو إِلا وحي يوحى﴾ [النجم:، ٤] .

(٩) معنى الحكمة في قوله تعالى: ﴿ وأَنْزلَ الله علَيك الْكتَاب والْحكْمةَ وعلمك ما لَم تَكُن تَعلَم وكَان فَضلُ الله علَيك عظيما ﴾ [النساء: ١١٣] .

(١٠) أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

(١) تعريف مختصر بالإمام الفراهي:

هو الإمام العلامة عبد الحميد الفراهي، الذي ملأ علوم القرآن والتفسير بما يغمر القرائح، وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح عن غرائب نكت يلطف مسلكها، ومستودعات أسرار يدق مسلكها.

ولد سنة ١٢٨٠ هـ، في قرية فريها _ قرية من قرى الهند _ وتوفي في التاسع عشر من جمادى الآخرة سنة ١٣٤٩ هـ.

برز على الأقران في التفسير وعلوم القرآن، وتعب في التنقير عنهما أزمنة، كثير المطالعات لكتب اليهود والنصارى، طويل المراجعات للشعر الجاهلي، فارساً في

دقائق المفردات العربية، مقدماً في العلوم العقلية والنقلية، وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها، مشتعل القريحة وقادها، يقظان، وكانت له لفتات بارعة في الأدب العربي القديم، عالم اللغات العبرانية والفارسية والإنكليزية والعربية بقوة لجيبه، وله اطلاع واسع وإلمام باللغة العبرانية القديمة، واستطاع من خلال حصيلته اللغوية أن ينفذ إلى أعماق التوراة والإنجيل، ويميط اللثام عن التحريفات والتصحيفات، التي طرأت على الكتب المقدسة القديمة [5].

(٢) من آثاره المطبوعة:

١ _ أسباق النحو: وهو كتاب في اللغة الأردية. نشر سنة ١١٣٥ هـ.

٢ _ أساليب القرآن: نشرته الدائرة الحميدية سنة ١٣٨٩ هـ.

٣ _ أمثال آصف الحكيم: مجموعة حكايات آصف، نقلها الفراهي من الإنجليزية إلى العربية في زمن طلبه. ونشر الكتاب بعد وفاته، وصدرت منه عدة طبعات، وهو مقرر في بعض مدارس الهند الدينية.

٤ _ إمعان في أقسام القرآن: صدرت طبعة منه باعتناء الدكتور محمد أجمل أيوب.

٥ _ تحفة الإعراب: طبعت في حياة المؤلف وصدرت منها عدة طبعات.

٦ _ ترجمه فارسي باره از طبقات ابن سعد: ترجمة جزء من طبقات ابن سعد بالفارسية

٧ _ ترجمه فارسي رسالة بدء الإسلام: من تأليف العلامة شبلي النعماني بالعربية. طبعت بمطبعة مفيد عام بمدينة آغره سنة ١٨٩١ م.

٨ _ التكميل في أصول التأويل: رسالة قيمة في أصول التفسير لم يقدر للمؤلف إكمالها، نشرتها الدائرة الحميدية، سنة ١٣٨٨ هـ.

٩ _ جمهرة البلاغة: اسم الكتاب تاريخي يشير إلى سنة ١٣٢٢ هـ. نشرته الدائرة الحميدية بعد وفاة المؤلف سنة ١٣٦٠ هـ.

١٠ _ خرد نامه: ترجمة منظومة لأمثال سليمان عليه السلام بالفارسية الدريّة، نشره المؤلف في حيدر آباد سنة ١٩١٦ م.

١١ _ دلائل النظام: ألف هذا الكتاب لإقامة الحجة على وجود النظام (أي الوحدة الموضوعية) في كل سورة من سور القرآن الكريم، وبيان الطرق التي تهدي إلى نظام السورة، نشرته الدائرة الحميدية سنة ١٣٨٨ هـ.

١٢ _ ديوانه العربي: نشره الشيخ بدر الدين الإصلاحي من الدائرة الحميدية سنة ١٣٨٧ هـ.

١٣ _ الرأي الصحيح في من هو الذبيح: صدر باعتناء الدكتور محمد أجمل أيوب.

١٤ _ رسالة في عقيدة الشفاعة والكفارة: بالإنجليزية، ولم نقف عليها.

١٥ _ فاتحة نظام القرآن: مقدمة تفسيره (نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان) نشرتها الدائرة الحميدية سنة ١٣٥٧ هـ بعد وفاة المؤلف، وتقديم الكتاب بقلم العلامة السيد سليمان الندوي.

١٦ _ في ملكوت ا : نشرته الدائرة الحميدية سنة ١٣٩١ هـ.

١٧ _ القائد إلى عيون العقائد: نشرته الدائرة الحميدية، سنة ١٣٩٥ هـ.

١٨ _ مفردات القرآن: طبع أخيرا في دار الغرب الإسلامي، سنة ٢٠٠٢ م بتحقيق الدكتور محمد أجمل أيوب.

١٩ _ نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان: وهو تفسيره الكبير، الذي صدرت منه الأجزاء التالية:

أ _ تفسير سورة الفاتحة والبسملة: نشر مع فاتحة نظام القرآن سنة ١٣٥٧ هـ.

ب _ تفسير سورة الذاريات: مطبعة معارف بأعظم كره، دون تاريخ.

ج _ تفسير سورة التحريم: مطبعة فيض عام، عليكره، سنة ١٣٢٦ هـ.

د _ تفسير سورة القيامة: صدرت طبعته الأولى من مطبعة فيض عام بمدينة عليكره، دون تاريخ. والطبعة الثانية صدرت من الدائرة الحميدية سنة ١٤٠٣ هـ.

هـ _ تفسير سورة المرسلات: طبعة معارف، دون تاريخ.

و _ تفسير سورة عبس: مطبعة معارف، دون تاريخ.

ز _ **تفسير سورة الشمس:** مطبعة فيض عام، سنة ١٣٢٦ هـ .

ح _ **تفسير سورة التين:** مطبعة معارف، دون تاريخ.

ط _ **تفسير سورة العصر:** مطبعة فيض عام، سنة ١٣٢٦ هـ .

ي _ **تفسير سورة الفيل:** مطبعة معارف، سنة ١٣٥٤ هـ .

ك _ **تفسير سورة الكوثر:** مطبعة معارف، دون تاريخ.

ل _ **تفسير سورة الكافرون:** مطبعة فيض عام، سنة ١٣٢٦ هـ

م _ **تفسير سورة اللهب:** مطبعة معارف، دون تاريخ.

ن _ **تفسير سورة الإخلاص:** هذا الجزء وحده بالأردية، ولعل المؤلف ألفه لأحد معارفه بناء على طلبه، زمن إقامته بكراتشي. نشرته الدائرة الحميدية سنة ١٣٧٨ هـ [(6)].

(٣) الأصول الخبرية للتفسير عند الفراهي: وهي نوعان:

- **أولاً: ما هو أصل وإمام وهو القرآن:**

يعتبر الفراهي أن أصول التأويل ثلاثة:

١. أصول أولية: وهو ما يتمسك به حيث لا احتمال لمعان شتى.

٢. أصول مرجحة: وهي احتمال الكلام معاني مختلفة؛ فإذا أعملنا الأصول المرجحة أخذنا ما هو الراجح وتركنا المرجوح.

٣. وأصول كاذبة: اعتمدوا عليها وليست بشيء وإنما تذكر ليتم اجتنابها.

ويعتبر االفراهي أن **الأصول الأولية تقوم على أربعة أصول**:

الأصل الأول: التمسك بنظم الكلام وسياقه، وهذه هي النظرية التي يقررها الفراهي والتي من أجلها ألف تفسيره نظام القرآن في تأويل الفرقان بالفرقان.

ووضع الفراهي كتاب " دلائل النظام " ليدلل على أن للنظام حظاً وافراً في كل كتاب ولاسيما في الكتاب البليغ. وذكر في كتابه أن القرآن الكريم كلام منظم ومرتب من أوله إلى آخره على غاية حسن النظم والترتيب، وليس فيه شيء من الاقتضاب لا

في آياته ولا في سوره، بل آياته مرتبة في كل سورة كالفصوص في الخواتم، وسوره منتظمة في سلك واحد كالدرر في القلائد، فلو قدم ما أخر، أو أخر ما قدم لبطل النظام وفسدت بلاغة الكلام بل ربما يعود إلى قريب من الهذيان.

ويعتبر الفراهي أن الوسيلة الموصلة لمعرفة النظام هي: التدبر في القرآن، لأن ا _ تعالى _ قد جعله محلاً للتدبر والتفكر كما قال تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩] . وكما قال في موضع آخر: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤] .

فمن نظر في مطالب الآيات على حدتها، ولم يتأمل في مناسبة أجزاء السورة، فقد عميت عليه الحكمة وحسن نظامها، لأن أكثر الحكم مخبوءة تحت دلالات النظام.

ويرى الفراهي أن معاني القرآن لا تنكشف إلا للمتقين الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون.

فالتدبر مع الإيمان الصادق بالآخرة هو أول مفاتيح كنوز القرآن كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (٤٥) وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥، ٤٦]

أما الكيفية التي بها يستنبط النظام ومقصوده بالنظام " الوحدة الموضوعية "، فكل سورة لها موضوع معين يسميه الفراهي عمود السورة تدور عليه بأجزائها المترابطة فيما بينها ترابطاً معنوياً محكماً.

ويختلف النظام عن التناسب بين الآيات والسور الذي اعتنى به بعض العلماء، كأبي جعفر بن الزبير شيخ أبي حيان في كتاب سماه " البرهان في مناسبة سور القرآن، وبرهان الدين البقاعي صاحب كتاب " نظم الدرر في تناسب الآي والسور ".

فالتناسب عند الفراهي هو جزء من النظام؛ لأنه يرى أنه حتى يكون النظام صحيحاً يجب أن يكون الكلام حسن الترتيب، حسن التناسب، وقوي الوحدانية.

والنظام عند الفراهي ليس أمراً مقصوداً لذاته، وإنما هو المنهج الصحيح لتدبر القرآن، وهو الحكم عند تضارب الأقوال، وهو المرجح عند تعدد الاحتمالات، وهو الإقليد الذي تفتح به كنوز حكمة القرآن.

ويعتمد الفراهي في الكشف عن نظام القرآن على القرآن نفسه لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً، وهو أوثق تعويلاً وأحسن تأويلاً، بما يأتيك به من نظائر، فتكثر الشواهد على رباط أمر ما، وبذلك يحثك على التأمل في جامع وصلة بينهما، ثم يأتي عليه بأمثلة كثيرة بعضها أوضح من بعض، ثم يتدرج بك على ما كان أدق وأغمض [7].

الأصل الثاني: عدم الالتفات للمعنى الشاذ: مثاله تأويل قوله تعالى: ﴿إن تَتُوبا إِلى الله فَقَد صغَتْ قُلُوبكُما﴾ [التحريم: ٤]، حيث سعى المبطلون إلى تحويل معنى "الصغو" إلى الزيغ، ووضعوا لتأويلهم الباطل قراءة باطلة لم تثبت فضلاً عن أن تكون متواترة [8].

الأصل الثالث: فهم الكلام بعضه من بعض بالمقابلة وحمل النظير على النظير وذلك هو التأويل بالقرآن:

قال العلماء قديماً [9] إن القرآن يفسر بعضه بعضاً، فالقرآن يذكر الأمور بعبارات مختلفة مرة إجمالاً ومرة تفصيلاً فما ترك في موضع ذكره في موضع آخر.

وقد صرح القرآن بهذه الصفة التي فيه في غير موضع [10]، فهذا أصل راسخ، ولكن قل استعمال هذا الأصل وذلك بأن طرق الدلالة على المعاني غير محصورة فربما تدل آية على معنى يكون دليلاً على معنى آية أخرى [11].

ومراد الفراهي بأن القرآن يفسر بعضه بعضاً ما يسميه بتفسير النظائر، لأن النظائر تفسر بعضها بعضاً وخاصة إذا كان الكلام محتملاً لتأويلات مختلفة، فالمصير إلى ماله نظير في القرآن أحوط، لأن ما هو ليس في القرآن قد يكون رأياً محضاً وضلالة، وأما ما كان له نظير في الحديث فلابد من صحته رواية ودراية، ثم المصير إلى النظير الذي في القرآن أوثق. ومثال ذلك الشذوذ في الحديث، فالتأويل إلى معنى شاذ مع إمكان غيره ومع دلالة أصول أُخَر بعيد عن الصواب.

فالقرآن كثيراً ما يترك مجملاً ما فصله في مقام آخر، والمعنى يفهم من غير أن نحتاج إلى تفصيله من نفس الكلام، مثاله: ما جاء في آخر سورة الأنفال:

﴿إن الذين آمنُوا وهاجروا وجاهدوا بِأَموالِهم وَأَنْفُسهم في سبِيل الله والذين آووا ونَصروا أُولَئِك بعضهم أَولياء بعضٍ والذين آمنُوا ولَم يهاجِروا ما لَكُم من ولَايتهم من شَيء حتى يهاجِروا وإِنِ استَنْصروكُم في الدينِ فَعلَيكُم النصر إِلا علَى قَومٍ بينَكُم وبينَهم ميثَاقٌ والله بِما تَعملُون بصير ﴾ [الأنفال: ٧٢] وبعيد ذلك جاء: ﴿والذين آمنُوا

وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أُولَئِكَ هم الْمُؤْمنُون حقًّا لَهم مغْفرةٌ ورزقٌ كَرِيم﴾ [الأنفال: ٧٤]، فلم يذكر "بأموالهم وأنفسهم" وهو مفهوم. ثم جاء بعيد ذلك: ﴿والذين آمنُوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكُم فَأُولَئِك منْكُم وأُولُو الْأَرحامِ بعضهم أَولَى ببعضٍ في كتَابِ الله إِن الله بِكُلِّ شَيء عليم﴾ [الأنفال: ٧٥]، فلم يذكر "في سبيل ا ولا بأموالهم وأنفسهم" ولكن ذلك مفهوم، وقد دل عليه "معكم"[(12)].

- **ثانياً: ما هو كالتبع والفرع وهو الحديث:**

تميز الفراهي بمنهج خاص في تفسير القرآن بالحديث بينه في فاتحة نظام القرآن قائلاً: ولعمري أحب التفسير عندي ما جاء من النبي صلى ا عليه وسلم وأصحابه رضي ا عنهم، وإني مع اليقين بأن الصحاح لا تخالف القرآن، لا آتي بها إلا كالتبع بعد ما فسرت الآيات بأمثالها، لكيلا يفتح باب المعارضة للمارقين الذين نبذوا القرآن وراء ظهورهم، والملحدين الذين يلزموننا ما ليس له في القرآن أصل، ولكي يكون هذا الكتاب حجة بين فرق المسلمين وقبلة سواء بيننا، فإني ما أردت أن أجمع كل ما يتعلق بالقرآن فإنه كنز لا ينفد على كثرة المجتهدين، والكتب في التفسير كثيرة، فمن يسرح فيها نظر التحقيق يؤت من العلم ما شاء ا ، ولكني أردت ما يكون كالأساس والأم والوسط والحكم، ولهذا اقتصرت على ما في القرآن غير جاحد لما تركته، كما جمع الإمام البخاري رحمه ا في كتابه كل ما ثبت عنده من الحديث متفقاً عليه مع ما ترك كثيراً من الصحاح.

(٤) السنة هي ما فهمه الرسول صلى ا عليه وسلم من القرآن:

يرى الفراهي أن السنة النبوية هي فهم الرسول للقرآن، بل يرى أن قول النبي صلى ا عليه وسلم: " ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه " [(13)].

يعني الفهم والبصيرة والنور الذي أشرق به قلب النبي صلى ا عليه وسلم مع نزول الوحي كما قال تعالى: ﴿وكَذَلِك أَوحينَا إِلَيك روحا من أَمرِنَا ما كُنْتَ تَدرِي ما الْكتَاب ولَا الْإِيمان ولَكن جعلْنَاه نُورا نَهدي بِه من نَشَاء من عبادنَا وإِنك لَتَهدي إِلَى صراط مستَقيمٍ﴾ [الشورى:٥٢].

ويؤيده ما قاله الشافعي: كلما حكم به رسول ا صلى ا عليه وسلم، فهو مما فهمه من القرآن قال تعالى: ﴿ ونَزلْنَا علَيك الْكتَاب تبيانًا لكُل شَىء ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿ما فَرطْنَا فى الكتَابِ من شَىء ﴾ [الأنعام: ٣٨] .

وقال صلى ا عليه وسلم: " ستكون فتن قيل: وما المخرج منها؟ قال: كتاب ا ، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم [14].

قال ابن مسعود: من أراد العلم فعليه بالقرآن فإن فيه خبر الأولين والآخرين [15].

قال البيهقي: أراد به أصول العلم [16].

وقال الحسن البصري: أنزل ا مائة وأربعة كتب، أودع علومها أربعة: التوراة، والإنجيل والزبور، والفرقان، ثم أودع علوم الثلاثة الفرقان، ثم أودع علوم القرآن المفصل، ثم أودع علوم المفصل فاتحة الكتاب، فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير الكتب المنزلة [17].

وقال الإمام الشافعي _ رضي ا عنه _ جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة وجميع شرح السنة شرح للقرآن [18]). وقال بعض السلف: ما سمعت حديثاً إلا التمست له آية من كتاب ا [19].

وقال سعيد بن جبير ما بلغني حديث عن رسول ا صلى ا عليه وسلم على وجهه إلا وجدت مصداقه في كتاب ا [20].

وقال ابن مسعود إذا حدثتكم بحديث أنبأتكم بتصديقه من كتاب ا [21].

وقال ابن مسعود أيضاً أنزل في القرآن كل علم وبين لنا فيه كل شيء ولكن علمنا يقصر عما بين لنا في القرآن [22].

وأخرج أبو الشيخ في كتاب العظمة عن أبي هريرة قال: قال رسول ا صلى ا عليه وسلم: إن ا لو أغفل شيئاً لأغفل الذرة والخردلة والبعوضة [23].

ويؤيد هذا قوله صلى ا عليه وسلم: إني لا أحل إلا ما أحل ا في كتابه ولا أحرم إلا ما حرم ا في كتابه [24].

(٥) موقف الفراهي من الإسرائيليات:

لايختلف رأي الفراهي عن غيره من علماء التفسير فيما يخص الإسرائيليات إلا أنه بحكم دراسته للديانات ومعرفته باللغة العبرانية فإنه يقوم بنقدها من خلال كشف العوار الذي تحويه هذه الروايات.

ومن المعلوم أن ما يروى عن بني إسرائيل من الأخبار المعروفة بالإسرائيليات له ثلاث حالات في واحدة منها يجب تصديقه وهي ما إذا دل الكتاب أو السنة الثابتة على صدقه، وفي واحدة يجب تكذيبه وهي ما إذا دل القرآن أو السنة أيضاً على كذبه، وفي الثالثة لا يجوز التكذيب ولا التصديق [25].

وأما الإسرائيليات المنقولة في كتب التفسير فلا يعول عليها، وعلى الأخص التي لا إسناد لها، ولم تؤثر عن النبي صلى ا عليه وسلم، ولا عن أحد من أصحابه، والتي لم يعرف أنها حق أو باطل لم يصدق بها ولم يكذب، ومثل هذه لا يعتمد عليها في الدين بحال، بل يرجع إلى الصحف الموجودة بأيدي اليهود والنصارى _ وقد درسها دراسة نقدية مع معرفته باللغة العبرانية واطلاعه على الدراسات التي قامت حولها في الغرب _ فإن من نظر في الكتب السابقة استبان له فضل تعليم القرآن عليها، وإعادة بعض ما نسوه من كتبهم، وكشف ما بدلوه، لتقوم الحجة عليهم من كتبهم. [26]

(٦) التفسير بالحديث الضعيف ليس أحق بالاتباع من الرأي:

يقول الفراهي في التكميل في أصول التأويل: من الناس من يزعم أن التفسير إما أن يكون منقولاً عن السلف الصالحين، أو يكون خلافه وهو الرأي، والأول هو المعتمد، والثاني هو المنهي عنه.

ثم استنتجوا من هذا أن المنقول وإن كان ضعيفاً أحق بالاتباع.

وعلى هذا الأصل كتب كثير من التفاسير مثل تفسير محمد بن جرير الطبري، الذي قيل فيه: إنه لم يصنف مثله، ولا شك أنه كذلك في بابه، ومثل تفسير البغوي، وابن كثير، والسيوطي وغيرهم من المحدثين.

ويعلق الفراهي على هذا الزعم قائلاً: وهذا الذي زعموا قول عليه طلاوة الحق وفي طيه أباطيل مضلة، ثم يسوق مثالاً على ذلك وهو قوله تعالى: ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ [البقرة: ١١٤] . ذكر الطبري في تفسيرها ثلاثة أقوال:

الأول: أن الظالم قوم نصارى، والمسجد بيت المقدس، وروي هذا عن ابن عباس.

والثاني: أن الظالم بختنصر ومن أعانه من النصارى، وقال أولئك أعداء ا النصارى، حملهم بغضهم اليهود على أن أعانوا بختنصر البابلي المجوسي على تخريب بيت المقدس، وروي هذا القول عن قتادة والسدي.

والثالث: قول ابن زيد قال: هؤلاء المشركون حالوا بين رسول ا صلى ا عليه وسلم يوم الحديبية وبين أن يدخل مكة. ثم بعد نقل هذه الأقوال بين ما هو أولى فقال:

وأولى التأويلات التي ذكرتها بتأويل الآية قول من قال عني ا عز وجل بقوله: ﴿ومن أَظْلَمُ ممن منَع مساجِد الله أَن يذْكَر فيها اسمه ﴾: النصارى، وذلك لأنهم هم الذين سعوا في خراب بيت المقدس وأعانوا بختنصر على ذلك ومنعوا مؤمني بني إسرائيل من الصلاة فيه بعد منصرف بختنصر عنهم إلى بلاده، والدليل على صحة ما قلنا في ذلك قيام الحجة بأن لا قول في معنى الآية إلا أحد الأقوال الثلاثة التي ذكرناها وأن لا مسجد عنى ا عز وجل بقوله: وسعى في خَرابِها إلا أحد المسجدين: إما مسجد بيت المقدس وإما المسجد الحرام، وإذا كان ذلك كذلك، وكان معلوماً أن مشركي قريش لم يسعوا قط في تخريب المسجد الحرام، وإن كان في بعض الأوقات قد منعوا رسول ا صلى ا عليه وسلم وأصحابه من الصلاة فيه، صح وثبت أن الذين وصفهم ا عزو وجل بالسعي في خراب مساجده غير الذين وصفهم ا بعمارتها إذ كان مشركو قريش بنو المسجد الحرام في الجاهلية وبعمارته كان افتخارهم، وإن كان بعض أفعالهم فيه كان منهم على غير الوجه الذي يرضاه ا منهم.

وأخرى أن الآية التي قبل قوله: ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد ا أن يذكر فيها اسمه ﴾، مضت بالخبر عن اليهود وذم أفعالهم، والتي بعدها نبهت بذم النصارى، والخبر عن افترائهم على ربهم، ولم يجر لقريش ولا لمشركي العرب ذكر ولا للمسجد الحرام قبلها، فيوجه الخبر بقول ا عز وجل: ﴿ ومن أَظْلَمُ ممن منَع مساجِد الله أَن يذْكَر فيها اسمه ﴾إليهم وإلى المسجد الحرام، وإذا كان ذلك كذلك، فالذي هو أولى بالآية أن يوجه تأويلها إليه هو ما كان نظير قصة الآية قبلها والآية بعدها؛ إذ كان خبرها لخبرهما نظيراً وشكلاً [27].

ويعتقد الفراهي أن الذي أوقع الطبري وغيره من علماء التفسير بالمأثور هو الاعتقاد بأن الأحاديث مفسرة للقرآن، وأن المنهج الأسلم هو: بما أن العلماء قد اتفقوا على أن القرآن يفسر بعضه بعضاً. فهذا لابد أن يكون راجحاً. وأنه إذا تعارض حديثان، فإنهم يأخذون بالأثبت، فلم لا يفعل ذلك إذا تعارض القرآن والحديث. ثم إنهم

يوفقون بين المتعارضين إذا تساويا في السند. والقرآن أوثق سنداً. فلا بد أن تؤول الأحاديث إلى القرآن [28]. من أسباب الغواية أنهم يبغون الدلائل لمعتقداتهم فيأخذونها من غير نقد فيجمعون الصحيح والسقيم. و إذا كان المعتقد صحيحاً لا يبالون بسقم ما يؤيده فيقبلون الباطل.

(٧) رأي الفراهي في قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر: ٩]:

ذكر الفراهي في فاتحة تفسير نظام القرآن في تأويل الفرقان بالفرقان:

أن بعض الإخوان ذهب بهم الشغف بالحديث إلى أن قالوا بأن الحديث داخل تحت أية: ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون [29] ﴾.

و" الذكر": القرآن في قول جميع المفسرين، وفي هاء" له " قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى " الذكر" قاله: الأكثرون. قال قتادة: أنزله ا ثم حفظه فلا يستطيع إبليس أن يزيد فيه باطلا، ولا ينقص منه حقا.

والثاني: أنها ترجع إلى النبي صلى ا عليه وسلم، فالمعنى: وإنا له لحافظون من الشياطين والأعداء، لقولهم: " إنك لمجنون ". هذا قول ابن السائب ومقاتل [30].

وهذا الرأي الذي ذهب إليه الفراهي يوافقه فيه صاحب أضواء البيان عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنا نَحن نَزلْنَا الذكْر وإِنا لَه لَحافظُون ﴾: بين تعالى في هذه الآية الكريمة أنه هو الذي نزل القرآن العظيم وأنه حافظ له من أن يزاد فيه أو ينقص أو يتغير منه شيء أو يبدل وبين هذا المعنى في مواضع أخر كقوله: ﴿ وإِنه لَكتَاب عزِيز لا يأْتيه الْباطلُ من بينِ يديه ولاَ من خَلْفه تَنزِيلٌ من حكيمٍ حميد ﴾ [فصلت: ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿لاَ تُحرك بِه لِسانَك لِتَعجلَ بِه إِن علَينَا جمعه وقُرءانَه ﴾ إلى قوله: ﴿ ثُم إِن علَينَا بيانَه ﴾ [القيامة: ١٥ _ ١٩]

وهذا هو الصحيح في معنى هذه الآية: أن الضمير في قوله: ﴿وإِنا لَه لحافظُون﴾ راجع إلى الذكر الذي هو القرآن وقيل الضمير راجع إلى النبي صلى ا عليه وسلم، كقوله تعالى: ﴿والله يعصمك من الناسِ ﴾ [المائدة: ٦٧] . والأول هو الحق كما يتبادر من ظاهر السياق [31].

(٨) رأي الفراهي في قوله: ﴿ وما ينْطِقُ عن الْهوى.إن هو إلا وحي يوحى﴾ [النجم: ٣، ٤] :

يستدل علماء الحديث [30] على أن السنة كلها وحي كالقرآن بالآية السالفة مع أن السياق في سورة النجم يتحدث عن القرآن، ويمكن الاستدلال على أن السنة وحي وعلى أن الرسول صلى ا عليه معصوم من غير هذه الآية.

قال الفراهي في تفسيره لهذه الآية في مذكراته: ﴿وما ينْطِقُ عن الْهوى. إن هو إلا وحي يوحى ﴾ وما ينطق خاص هنا بأمر القرآن كما قال" إن هو (أي المنطوق) إلا وحي يوحى، فأما سائر كلامه فلا ذكر له في هذه الآية، وأما في نفس الأمر فما ينطق الرسول عن هوى النفس أبدا، ولكنه ربما يخطئ فا يصلحه فإن ا يقول ﴿ فإنه يسلُك من بين يديه ومن خلْفه رصدا﴾ [الجن: ٢٧] فلابد أن ينبه إن سها أو نسي أو أفرط لفرط الشغف بالأمة والرأفة بهم [31].

(٩) معنى الحكمة في قوله تعالى: ﴿ وأَنْزلَ الله عليك الْكتَاب والْحكْمةَ وعلمك ما لم تكُن تَعلم وكان فَضلُ الله عليك عظيما ﴾ [النساء: ١١٣] :

ذهب علماء السنة وبعض المفسرين إلى أن المراد بالحكمة: السنة [32] وأشهر من عرف عنه أن المراد بالحكمة: السنة هو الإمام الشافعي في كتابه الأم [33].

ويرى الفراهي أن " الحكمة " هي اسم للقوة التي منها ينشأ القضاء بالحق قال تعالى في نعت داود: ﴿وشَددنَا ملْكه وآتَينَاه الْحكْمةَ وفَصلَ الْخطَابِ ﴾ [ص: ٢٠] فذكر الأثر بعد القوة التي هي مصدر ذلك الأثر. وكما أن القول الفصل من آثار الحكمة، فكذلك طهارة الخلق وحسن الأدب من آثارها.

ولذلك كانت العرب تطلق اسم الحكمة على قوة جامعة لرزانة العقل والرأي وشرافة الخلق الناشئة منهما، فسموا الرجل العاقل المهذب حكيماً. وكذلك يطلقون اسم الحكمة على فصل الخطاب. وهو القول الحق الواضح عند العقل والقلب.

وكل هذه الوجوه من معاني الحكمة في كلام العرب. فاستعملها القرآن والنبي صلى ا عليه وسلم بما عرفوه: قال النبي صلى ا عليه وسلم: " إن من الشعر لحكمة " [34]، أي: ليس كل شعر غواية بل منه ما يتضمن الحق والحث على الخير.

هذا ثم استعملها ا في أكمل أفرادها فسمى الوحي حكمة كما سماه نوراً وبرهاناً وذكراً ورحمة، ومن هذه الجهة سمي القرآن حكيماً، أي: ذا حكمة، كما سمى نفسه حكيماً وعليماً.

فإذا سمى القرآن كتاباً وحكمة معاً فذلك من جهتين: سمي كتاباً من كونه مشتملاً على الأحكام المكتوبة، وحكمة من جهة اشتماله على حكمة الشرائع من العقائد الصحيحة والأخلاق الفاضلة.

واستدللنا على هذا الفرق من تتبع استعمال الكلمتين معاً. وتسامح بعض أهل العلم في هذا المقام، وتبعهم الإمام الشافعي رحمه ا وتبعه أكثر المحدثين فظنوا أن الحكمة أريد بها الحديث، فإن الكتاب كتاب ا فلا بد أن يراد بالحكمة غيره، ومثار الخطأ أنهم أخطؤا معنى الكتاب حيث جاء مع الحكمة والدليل على ما قلنا آيات منها:

﴿وأنزل ا عليك الكتاب والحكمة ﴾ [النساء: ١١٣] ﴿واذْكُرن ما يتْلَى في بيوتكُن من آيات الله والْحكْمة إِن الله كان لَطيفًا خَبِيرا﴾ [الأحزاب: ٣٤] وكلمة " يتلى " و " أنزل " لم يستعملهما القرآن للحديث. نعم إن الحديث ربما يتضمن الحكمة ولا شك أن الحديث ربما يبين ما في القرآن من الحكمة. ولعل مراد الذين تبعهم الإمام رحمه ا كان هذا. ولكن الحديث يشتمل على الأحكام كما أنه يشتمل على الحكمة فلا وجه لتخصيصه باسم الحكمة.

وجاء أوضح من ذلك حيث قال تعالى في صفة عيسى ﴿إِذْ قَالَ الله يا عيسى ابن مريم اذْكُر نعمتي علَيك وعلى والِدتك إِذْ أَيدتُك بِروحِ الْقُدسِ تُكَلم الناس في الْمهد وكَهلًا وإِذْ علمتُك الْكتَاب والْحكْمةَ والتوراةَ والْإِنْجِيلَ وإِذْ تَخْلُقُ من الطينِ كَهيئَة الطيرِ بِإِذْني فَتَنْفُخُ فيها فَتَكُون طَيرا بِإِذْني وتُبرِئُ الْأَكْمه والْأَبرص بِإِذْني وإِذْ تُخْرِج الْموتَى بِإِذْني وإِذْ كَفَفْتُ بني إِسرائِيلَ عنْك إِذْ جِئْتَهم بِالْبينَات فَقَالَ الذين كَفَروا منْهم إِن هذَا إِلا سحر مبِين ﴾ [المائدة: ١١٠] .

وترتيب مضامين سورة البقرة يطابق قوله تعالى: ﴿ربنَا وابعثْ فيهِم رسولًا منْهم يتْلُو علَيهِم آياتك ويعلمهم الْكتَاب والْحكْمةَ ويزكيهِم إِنك أَنْتَ الْعزِيز الْحكيم ﴾ [البقرة: ١٢٩] . فأتى أولاً بالآيات والدلائل، ثم ألقى عليهم الكتب _ أي: الأحكام _ ثم علمهم طريق الحكمة، وزكاهم بالحث على الزكاة. فنزولها يطابق ما دعا به إبراهيم، ويرى الفراهي أن في هذه الآية تحقق دعاء إبراهيم ببعثة نبي يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة [35]. وأن أكثر كلمة الحكمة مع مكارم الأخلاق [36].

﴿كَما أَرسلْنَا فيكُم رسولًا منْكُم يتْلُو علَيكُم آياتنَا ويزكيكُم ويعلمكُم الْكتَاب والْحكْمةَ ويعلمكُم ما لَم تَكُونُوا تَعلَمون﴾ [البقرة: ١٥١]. وهذا من إتمام النعمة أن ا جعل أمة محمد أمة وسطاً وارثة لإبراهيم، وهي هدى ا وصراطه المستقيم وفطرته التي فطر الناس

عليها، وأورثها قبلة إبراهيم، واستجاب فيهم دعاءه، فأرسل فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة. يتلو: [الكتاب] ظاهر الحكم [الحكمة] الأخلاق.

فتلاوة الآيات تمهيد وخطوة أولى للتزكية، والعمل بالأحكام خطوة ثانية لها. والحكمة هي الخطوة الثالثة _ وهي روح الأحكام.

(١٠) أهم النتائج التي توصل إليها الباحث:

لقد استخلصت من هذا البحث النتائج التالية:

أولاً: يعتبر الفراهي أن أصول التأويل ثلاثة:

١. أصول أولية: وهو ما يتمسك به حيث لا احتمال لمعان شتى.

٢. أصول مرجحة: وهي احتمال الكلام معاني مختلفة؛ فإذا أعملنا الأصول المرجحة أخذنا ما هو الراجح وتركنا المرجوح.

٣. وأصول كاذبة: اعتمدوا عليها وليست بشيء وإنما تذكر ليتم اجتنابها.

ثانياً: القول بالنظام هي النظرية التي يقررها الفراهي في كتبه والتي من أجلها ألف تفسيره " نظام القرآن في تأويل الفرقان بالفرقان ".

ووضع الفراهي كتاب " دلائل النظام " ليدلل على أن للنظام حظاً وافراً في كل كتاب ولاسيما في الكتاب البليغ.

وخلاصة القول بالنظام: أن القرآن الكريم كلام منظم ومرتب من أوله إلى آخره على غاية حسن النظم والترتيب، وليس فيه شيء من الاقتضاب لا في آياته ولا في سوره، بل آياته مرتبة في كل سورة كالفصوص في الخواتم، وسوره منتظمة في سلك واحد كالدرر في القلائد، فلو قدم ما أخر، أو أخر ما قدم لبطل النظام وفسدت بلاغة الكلام، بل ربما يعود إلى قريب من الهذيان.

ويعتبر الفراهي أن الوسيلة الموصلة لمعرفة النظام هي: التدبر في القرآن، لأن الله _ تعالى _ قد جعله محلاً للتدبر والتفكر كما قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

ثالثاً: مراد الفراهي بأن القرآن يفسر بعضه بعضاً ما يسميه بتفسير النظائر، لأن النظائر تفسر بعضها بعضاً وخاصة إذا كان الكلام محتملاً لتأويلات مختلفة، فالمصير

إلى ماله نظير في القرآن أحوط، لأن ما ليس في القرآن قد يكون رأياً محضاً وضلالة، وأما ما كان له نظير كالحديث فلابد من صحته رواية ودراية.

رابعاً: يرى الفراهي أن جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة، وجميع شرح السنة شرح للقرآن، فالقرآن هو كلام المشرع الذي صدرت عنه السنة وغيرها بدون التقليل من حجية السنة.

خامساً: يرى الفراهي أن كلمة " الذكر " الواردة في القرآن الكريم يراد بها القرآن، ولايتوسع مفهوم الكلمة لتشمل السنة أو الدين كما فهم بعض العلماء.

سادساً: يستدل علماء الحديث على أن السنة كلها وحي كالقرآن بقوله تعالى: ﴿وما ينْطقُ عنِ الْهوى.إن هو إلا وحي يوحى ﴾ مع أن السياق في سورة النجم يتحدث عن القرآن، ويمكن الاستدلال على أن السنة وحي وعلى أن الرسول صلى ا عليه معصوم من غير هذه الآية.

سابعاً: يرى الفراهي أن كلمة " الحكمة الواردة في القرآن لايراد بها " السنة " كما ذهب إلى ذلك الكثير من العلماء وعلى رأسهم الإمام الشافعي مع إن الحديث ربما يتضمن الحكمة ولا شك أن الحديث ربما يبين ما في القرآن من الحكمة. فإذا سمى القرآن كتاباً وحكمة معاً فذلك من جهتين:

- سمي كتاباً من كونه مشتملاً على الأحكام المكتوبة.

- وحكمة من جهة اشتماله على حكمة الشرائع من العقائد الصحيحة والأخلاق الفاضلة.

واستدل على هذا الفرق من تتبع استعمال الكلمتين معاً، وسبب الخطأ أنهم أخطؤا معنى الكتاب حيث جاء مع الحكمة واستدل ما قل على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وأنزل ا عليك الكتاب والحكمة ﴾ [النساء: ١١٣] ﴿واذْكُرن ما يتْلى في بيوتكُن من آيات الله والْحكْمة إِن الله كان لَطيفًا خَبِيرا﴾ [الأحزاب: ٣٤] وكلمة " يتلى " و " أنزل " لم يستعملهما القرآن للحديث.

ثامناً: البحث يبين أن الفراهي ينفرد ببعض الآراء التي يخالف فيها كبار العلماء كالشافعي والطبري، ولكنه لايحسب على من يسمون أنفسهم زوراً " بالقرآنيين " فرأيه بالسنة كرأي الجمهور من أهل السنة.

الهوامش

(١) يعتبر جد شيخ الإسلام ابن تيمية المجد شيخ الإسلام أبو البركات ابن تيمية أشهر من جمع أطراف أحاديث التفسير معزوة حسب السور في كتاب سماه " أطراف أحاديث التفسير "انظر: المقصد الأرشد لابن مفلح: ٢/ ١٦٣، المدخل لابن بدران الدمشقي: ١/ ٤١٦، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: ٥/ ٢٨٥، ومعجم الكتب ليوسف بن حسن الهادي الدمشقي: ١/ ٩٩.

(٢) ص ٣٢.

(٣) الصواب أن يستعمل كلمة: " الذين " بدلاً من " ولكن ".

(٤) مصطلح " القرآنيون " فيه تشريف لمن يطلق عليه، لذلك يجب أن لا يطلق على من ينكرون السنة النبوية، لأنهم ينكرون في الواقع القرآن الذي يوجب الأخذ بالسنة النبوية المشرفة.

(٥) انظر: الترجمة التي كتبها الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي في مقدمة تحقيقه لكتاب مفردات القرآن للفراهي، ص ١١ _ ٤١.

(٦) المصدر السابق، ص ٣١ _ ٣٩.

(٧) انظر: مقدمة تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان: ص ٥، وما بعدها _ بتصرف كبير_.

(٨) حدثنا بن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا محمد بن طلحة عن زبيد عن مجاهد قال كنا نرى أن قوله:﴿ فقد صغت قلوبكما﴾ شيء هين حتى سمعت قراءة ابن مسعود: " إن تتوبا إلى الله فقد زاغت قلوبكما".

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة: ﴿فقد صغت قلوبكما ﴾ أي مالت قلوبكما.

حدثنا بن عبد الأعلى قال ثنا بن ثور عن قتادة: ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ مالت قلوبكما .

حدثت عن الحسين قال: سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿فقد صغت قلوبكما ﴾ يقول: زاغت .

حدثنا بن حميد قال ثنا مهران عن سفيان: ﴿ صغت قلوبكما﴾ قال: زاغت قلوبكما.

حدثني يونس قال أخبرنا بن وهب قال بن زيد قال الله عز وجل: ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾ قال سرهما أن يجتنب رسول الله صلى الله عليه وسلم جاريته وذلك لهما موافق صغت قلوبكما إلى أن سرهما ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم. انظر: تفسير الطبري: ١٦١/٢٨.

(٩) انظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، ص ٣٢، ومجموع الفتاوى لابن تيمية: ١٣/ ٣٦٣، وقال السيوطي في الإتقان: ٢/ ٤٦٧، قال العلماء: من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولاً من القرآن، فما أجمل منه في مكان فقد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر. وقد ألف ابن الجوزي كتابا فيما أجمل في القرآن في موضع وفسر في موضع آخر منه.

(١٠) وهو قوله تعالى: " ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ [القيامة: ١٩] . وقوله تعالى: ﴿"كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾. [فصلت: ١] . وغيرها كثير.

(١١) انظر: التكميل في أصول التأويل للفراهي: ص ٢٤٢. _ بتصرف _.

(١٢) المصدر السابق.

(١٣) أخرجه أبو داود في سننه: ٤/ ٢٠٠، حديث ٤٦٠٤، وأحمد في مسنده: ٤/ ١٣٠، وابن عبد البر في التمهيد: ١/ ١٥٠، ٢/ ١٥٦، ٤/ ٢٢١.

تنبيه: قد اتفق من يعتد به من أهل العلم على أن السنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام وأنها كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: " ألا

وإني أوتيت القرآن ومثله معه "، أي: من السنن التي لم ينطق بها القرآن، وذلك: كتحريم لحوم الحمر الأهلية، وتحريم كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير، وغير ذلك مما لم يأت عليه الحصر.

وما ورد من طريق ثوبان بعرض الأحاديث على القرآن فقال يحيى بن معين إنه موضوع وضعته الزنادقة.

وقال عبد الرحمن بن مهدي الخوارج وضعوا حديث: " ما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب ا إلى آخره ".

وقد عارض حديث العرض قوم فقالوا عرضنا هذا الحديث على كتاب ا فخالفه لأنا وجدنا فيه وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا [الحشر: ٧] . قال الأوزاعي: الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب.

قال ابن عبد البر يريد أنها تقضي عليه وتبين المراد منه. وقال يحيى ابن أبي كثير السنة قاضية على الكتاب انتهى

وكل من له إلمام بالعلم يعلم أن ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورية دينية ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في دين الإسلام. انظر: المدخل لابن بدران الدمشقي: ١/ ٢٠٠.

(١٤) الحديث أخرجه الدارمي: ٢/ ٥٢٦، حديث ٣٣٣١، وابن أبي شيبة في مصنفه: ٦/ ١٢٥، ٣٠٠٠٧، والطبراني في الكبير: ٢٠/ ٨٤، حيث ١٦٠، أورده الزيلعي في: تخريج الأحاديث والآثار ١/ ٢١١. قلت: روي من حديث علي، ومن حديث ابن مسعود: فحديث علي رواه الترمذي في فضائل القرآن من حديث الحارث الأعور قال مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على علي فقلت يا أمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا في الأحاديث قال أوقد فعلوها قلت نعم قال أما إني سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلم يقول ألا إنها ستكون فتنة فقلت فما المخرج منها يا رسول ا ؟ قال: كتاب ا فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه ا ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله ا ، وهو حبل ا المتين وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن حين سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعي إليه هدي إلى صراط مستقيم، خذها إليك يا أعور. انتهى ثم قال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات، وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال.

(١٥) أخرجه سعيد بن منصور في سننه: ١/ ٧.

(١٦) انظر: الإتقان: ٢/ ٣٣٠، وأضواء البيان: ٢/ ٤٢٧.

(١٧) فتاوى ابن تيمية: ١٧/ ١٥.

(١٨) انظر: مرقاة المفاتيح للقاري: ١/ ٣٧، وقواعد التحديث للقاسمي: ١/ ٥٩، والإتقان للسيوطي: ٢/ ٣٣٠

(١٩) أضواء البيان: ٢/ ٤٢٨.

(٢٠) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٤/ ٤١١، والطبري في تفسيره: ١٢/ ١٩.

(٢١) انظر: مرقاة المفاتيح للقاري: ١/ ٣٧، وقواعد التحديث للقاسمي: ١/ ٥٩، والإتقان للسيوطي: ٢/ ٣٣٠.
(٢٢) انظر: أضواء البيان: ٢/ ٤٢٨، وروح المعاني: ٦/ ١٩٠.
(٢٣) أورده الديلمي في الفردوس: ٥/ ٢٧٤.
(٢٤) الحديث أخرجه: الترمذي في جامعه: ٤/ ٢٢٠، حديث ٧٧٢٦، وابن ماجه في سننه: ٢/ ١١١٧ حديث ٣٣٦٧، والحاكم في المستدرك: ٤/ ١٢٩، حديث ٧١١٥، والبيهقي في السنن الكبرى: ٧/ ٧٥، حديث ١٣٢١٧ والطبراني في الأوسط: ٦/ ٢٣٠، والكبير: ٦/ ٢٥٠.
(٢٥) انظر: فتاوى ابن تيمية: ١٠/ ٦٨٧، مناهل العرفان: ٢/ ٢٢، حجة ا البالغة: ١/ ٣٦١.
(٢٦) انظر مقدمة تفسيره: ص ٦، ٧.
(٢٧) التكميل في أصول التأويل: ص ٢٨٦، ٢٨٧.
(٢٨) يقول الشاطبي في الموافقات: ١٢/٤، وما بعدها: " السنة راجعة في معناها إلى الكتاب فهي: تفصيل مجمله وبيان مشكله وبسط مختصره، وذلك لأنها بيان له، وهو الذي دل عليه قوله تعالى وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم . فلا تجد في السنة أمرا إلا والقرآن قد دل على معناه دلالة إجمالية أو تفصيلية. وأيضا فكل ما دل على أن القرآن هو كلية الشريعة وينبوع لها فهو دليل على ذلك، لأن ا قال: وإنك لعلى خلق عظيم وفسرت عائشة ذلك بأن خلقه القرآن، واقتصرت في خلقه على ذلك، فدل على أن: قوله وفعله وإقراره راجع إلى القرآن، فالسنة إذا في محصول الأمر بيان لما فيه وذلك معنى كونها راجعة إليه، وأيضا فالاستقراء التام دل على ذلك حسبما يذكر بعد بحول ا وقد تقدم في أول كتاب الأدلة أن السنة راجعة إلى الكتاب وإلا وجب التوقف عن قبولها وهو أصل كاف في هذا المقام، فإن قيل هذا غير صحيح من أوجه:
أحدها: أن ا تعالى قال: فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية، والآية نزلت في قضاء رسول ا صلى ا عليه وسلم للزبير بالسقى قبل الأنصاري من شراج الحرة والحديث مذكور في الموطأ وذلك ليس في كتاب ا تعالى ثم جاء في عدم الرضى به من الوعيد ما جاء وقال ا تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا ا وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى ا والرسول إن كنتم تؤمنون با واليوم الآخر
والرد إلى ا هو الرد إلى الكتاب والرد إلى الرسول هو الرد إلى سنته بعد موته وقال وأطيعوا ا وأطيعوا الرسول واحذروا وسائر ما قرن فيه طاعة الرسول بطاعة ا فهو دال على أن طاعة ا ما أمر به ونهى عنه في كتابه وطاعة الرسول ما أمر به ونهى عنه مما جاء به مما ليس في القرآن إذ لو كان في القرآن لكان من طاعة ا وقال: فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة الآية فقد اختص الرسول عليه الصلاة والسلام بشئ يطاع فيه وذلك السنة التي لم تأت في القرآن وقال: من يطع الرسول فقد أطاع ا وقال: وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا .
والثاني: الأحاديث الدالة على ذم ترك السنة واتباع الكتاب إذ لو كان ما في السنة موجودا في الكتاب لما كانت السنة متروكة على حال كما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال: " يوشك بأحدكم أن يقول هذا كتاب ا ما كان فيه من حلال أحللناه وما كان فيه من حرام حرمناه ألا من بلغه عني حديث فكذب به فقد كذب ا ورسوله والذي حدثه " وعنه أنه قال: " يوشك

رجل منكم متكئا على أريكته يحدث بحديث عني فيقول بيننا وبينكم كتاب ا فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا وإن ما حرم رسول ا صلى ا عليه وسلم مثل الذي حرم ا ".

وفي رواية: " لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري بما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب ا اتبعناه " وهذا دليل على أن في السنة ما ليس في الكتاب.

والثالث: أن الاستقراء دل على أن في السنة أشياء لا تحصى كثرة لم ينص عليها في القرآن كتحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها وتحريم الحمر الأهلية وكل ذي ناب من السباع والعقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر وهو الذي نبه عليه حديث علي ابن أبي طالب حيث قال فيه: " ما عندنا إلا كتاب ا أو فهم أعطيه رجل مسلم وما في هذه الصحيفة " وفي حديث آخر عن علي أنه خطب وعليه سيف فيه صحيفة معلقة فقال: " وا ما عندنا كتاب نقرؤه إلا كتاب ا وما في هذه الصحيفة، فنشرها فإذا أسنان الإبل، وإذا فيها المدينة حرم من عير إلى كذا فمن أحدث فيها حدثا فعليه لعنة ا والملائكة والناس أجمعين لا يقبل ا منه صرفا ولا عدلا، وإذا فيها ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم فمن أخفر مسلما فعليه لعنة ا والملائكة والناس أجمعين لا يقبل ا منه صرفا ولا عدلا، وإذا فيها من والى قوما بغير إذن مواليه فعليه لعنة ا والملائكة والناس أجمعين لا يقبل ا منه صرفا ولا عدلا.

وجاء في حديث معاذ: " بم تحكم؟ قال: بكتاب ا ، قال: فإن لم تجد؟ قال: فبسنة رسول ا صلى ا عليه وسلم، وما في معناه مما تقدم ذكره، وهو واضح في أن في السنة ما ليس في القرآن، وهو نحو قول من قال من العلماء: ترك الكتاب موضعا للسنة، وتركت السنة موضعا للقرآن.

والرابع: أن الاقتصار على الكتاب رأى قوم لا خلاق لهم، خارجين عن السنة إذ عولوا على ما بنيت عليه من أن الكتاب فيه بيان كل شئ، فاطرحوا أحكام السنة، فأداهم ذلك إلى الانخلاع عن الجماعة، وتأويل القرآن على غير ما أنزل ا .

(٢٩) مقدمة تفسيره نظام القرآن: ص ٣٢.

(٣٠) زاد المسير: لابن الجوزي: ٤/ ٣٨٤.

(٣١) قال ابن الجوزى: لما لم يمكن أحدا أن يزيد في القرآن، أخذ أقوام يزيدون في حديث رسول ا ، ويضعون عليه ما لم يقل، فأنشأ ا علماء يذبون عن النقل، ويوضحون الصحيح ويفضحون القبيح، وما يخلى ا منهم عصرا من الأعصار غير أنهم قلوا في هذا الزمان فصاروا أعز من عنقاء مغرب:

وقد كانوا إذا عدوا قليلا فقد صاروا أقل من القليل

قال سفيان الثورى: الملائكة حراس السماء وأصحاب الحديث حراس الأرض. وقال يزيد بن زريع: لكل دين فرسان، وفرسان هذا الدين أصحاب الأسانيد. وروينا عن ابن المبارك أنه قيل له: هذه الأحاديث الموضوعة فقال: تعيش لها الجهابذة. قلت: وذكر الحافظ الذهبي في طبقات الحفاظ: أن الرشيد أخذ زنديقا ليقتله، فقال: أين أنت من ألف حديث وضعتها ! فقال: أين أنت يا عدو ا من أبى إسحق الفزارى وابن المبارك يتخللانها فيخرجانها حرفا حرفا. وقال ابن قتيبة في كتابه اختلاف الحديث يمدح أهل الحديث: التمسوا الحق من وجهته، وتتبعوه من مظانه، وتقربوا إلى ا باتباعهم سنن رسول ا وطلبهم لأخباره برا وبحرا وشرقا وغربا، ولم يزالوا في التنقير عنها، والبحث لها، حتى عرفوا صحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها،

وعرفوا من خالفها إلى الرأي فنبهوا على ذلك حتى نجم الحق بعد أن كان عافيا، وبسق بعد أن كان دارسا، واجتمع بعد أن كان متفرقا، وانقاد للسنة من كان عنها معرضا، وتنبه عليها من كان غافلا، وقد يعيبهم الطاعنون بحملهم الضعيف، وطلبهم الغريب، وفى الغرائب الداء، ولم يحملوا الضعيف والغريب لأنهم رأوهما حقا، بل جمعوا الغث والسمين، والصحيح والسقيم، ليميزوا بينهما، ويدلوا عليهما. انظر: تنزيه الشريعة لابن عراق: ١/ ١٦.

(٣٠) انظر على سبيل المثال: عمدة القاري: "باب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وروايته عن ربه وقال صاحب التوضيح معنى هذا الباب أنه روى عن ربه السنة كما روى عنه القرآن وهذا مبين في كتاب الله وما ينطقُ عن الْهوى إن هو إلا وحي يوحى عمدة القاري " ٢٥/ ١٨٨، ١٨٩. وكشف المشكل 1/ ١٣٦.

"ولا يجوز أن يظن برسول الله ما هو منزه عنه من الشطح والزلل في القول مع شهادة الحق عز وجل له بالعصمة في كلامه بقوله تعالى وما ينطق عن الهوى. وقواعد التحديث ١/ ٦٥ " واختلف في بقية السنة هل هو كله يوحي أو لا وآية: " وما ينطق عن الهوى" تؤيد الأول. و توضيح الأفكار ٢/ ٨٠ " وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى" وإن كان قد يناقش في الاستدلال بأن الآية ٣ في وحي خاص هو القرآن كما يشعر به " علمه شديد القوى "إلى قوله تعالى: " فأوحى إلى عبده ما أوحى ". والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/ص١١١.

(٣١) كما حدث في أسارى بدر. انظر مذكرات الفراهي _ المخطوطة _ ص ٥٠٢.

(٣٢) انظر: تفسير العز بن عبد السلام: ١/ ١٦٣.

(٣٣) الكتاب هو ما يتلى عن الله تعالى، والحكمة هي ما جاءت به الرسالة عن الله مما بينت سنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال الله عز وجل لأزواجه صلى الله عليه وسلم: " واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ". كتاب الأم ٥/ ١٢٧.

(٣٤) أخرجه: ابن ماجه في سننه: ٢/ ١٢٣٥، حديث ٣٧٥٥، والبيهقي في السنن الصغرى: ٩/ ٢٠٦، حديث ٤٣٤٦، وابن عبد البر في الاستذكار: ٢/ ٣٦٨.

(٣٥) مذكرات عبد الحميد الفراهي _ مخطوط _ ص ١٠.

(٣٦) مذكرات عبد الحميد الفراهي _ مخطوط _ ص ١٢.

جريدة المصادر والمراجع

- أحمد البيهقي، السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر (مكة: مكتبة دار الباز، ١٩٩٤ م).
- أحمد بن حنبل، مسند أحمد، (مصر: مؤسسة قرطبة).
- أحمد عبد الحليم، فتاوى ابن تيمية، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (مكتبة ابن تيمية، ط٢).
- برهان الدين بن مفلح، المقصد الأرشد، (الرياض: مكتبة الرشد، ط١، ١٩٩٠).
- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (لبنان: دار الفكر، ط١، ١٩٩٦، ١٤١٦ هـ).
- جمال الدين الزيلعي، تخريج الأحاديث والآثار، (الرياض: دار ابن خزيمة، ط١، ١٤١٥ هـ).
- سعيد الخراساني، سنن سعيد بن منصور، تحقيق حبيب الرحمن (الهند: الدار السلفية، ط١٩٨٢،١).
- سليمان الأزدي، سنن أبي داود، تحقيق محي الدين عبد الحميد، (بيروت: دار الفكر).
- سليمان بن أحمد،المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن عوض الله (القاهرة: طبع دار الحرمين، ١٤١٥هـ)

- سليمان بن أحمد،المعجم الكبير، تحقيق عبدالمجيدالسلفي(الموصل:مكتبة الزهراء،الموصل،ط٢، ١٩٨٣).
- شهاب الدين الألوسي، روح المعاني، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).
- شيرويه الهمداني، الفردوس بمأثور الخطاب، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٦ م).
- عبد الحميد الفراهي، التكميل في أصول التأويل، (الهند: الدائرة الحميدية، ط٢، ١٩٩١).
- عبد الحميد الفراهي، مقدمة تفسير نظام القرآن، (الهند: صلاح مير أحمد، ١٣٥٢ هـ).
- عبد الحي الحنبلي، شذرات الذهب، تحقيق عبد القادرالأرناؤوط (دمشق: دار ابن كثير، ط١، ١٤٠٦هـ)
- عبد الرحمن الجوزي، زاد المسير، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٤ هـ).
- عبد الرحمن الرازي، تفسير بن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب (صيدا: المكتبة العصرية).
- عبد القادر الدمشقي: المدخل، تحقيق عبد ا التركي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠١ هـ).
- عبد ا الدارمي، سنن الدارمي، تحقيق فواز زمرلي، (بيروت: دارالكتاب العربي، ط١، ١٤٠٧ هـ)
- عبد ا بن محمد، مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق كمال الحوت(الرياض: مكتبة الرشد، ط١،١٤٠٩هـ)
- علي القاري، مرقاة المفاتيح، تحقيق جمال عيتاني، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٢ م).
- محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، (بيروت: دار الفكر للنشر والتوزيع، ١٩٩٥).
- محمد الترمذي، جامع الترمذي، تحقيق أحمد شاكر (بيروت: دار إحياء التراث العربي).
- محمد الحاكم، المستدرك، تحقيق مصطفي عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١،١٩٩٠).
- محمد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار الفكر بيروت).
- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥ هـ).
- محمد جمال القاسمي، قواعد التحديث، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩).
- يوسف النمري، التمهيد، تحقيق مصطفى بن أحمد (المغرب: وزارة الأوقاف المغربية، ١٣٨٧هـ)
- يوسف بن حسن، معجم الكتب، (مصر: مكتبة ابن سينا، مصر، ١٩٨٩ م).